

في نور محمّد فاطمة الزهراء

وبقيت تتجرّع إلى منتهى الحياة. ومع ذلك فلم نرها تستعين على شدة دهرها ولأوائه بـمال تملكه، أو مال ترجو أن يكون ملك يمين، إنّما رأيناها - المرّة بعد المرّة - عن طعامها وطعام أُسرتها لفقر أو مسكين أو عابر سبيل، ثم تبیت ومن معها الليلة والليلتين والثلاث، على طوىّ وجوع. فإذا كانت حاورت أبا بكر في «فدك»، وألحّت أنّها لها - بحكم النحلة أو بحكم الميراث - فذلك لأنّها لها حقّ، والحقّ واجب النفاذ والاتّباع، وعندها من القوة الإيمانية ما يجعلها تسعى حثيثاً إليه، وتتشبّث به، وتخرجه إلى دائرة الأداء دون تردّد ولا تفريط. وعندما انطلقت آخر مرّة لمطالبة الخليفة به، كانت تعلم أنّه لن يغيّر اتجاهه، ولن يهينّه من إصراره، ولن يلين كثيراً ولا قليلاً من صلابة العناد التي عرفتھا وعرفھا الناس فيه. ومع ذلك انطلقت ... وما عليها لو أبى، وألقى إليها معاذيره؟ وما عليها أيضاً لو أنّها حاجّته مرّةً ومرّات فلم يستجب، ثم ردّها بصفقة المغبون؟ إنّها اذن ستكون أدّت ما عليها، وغرست في أرواع الأجيال الثبات كيف يكون، وأبقت على الزمن قضيتها قضية نزال. فلقد كانت موقنة أن «فدك» لها بحقّين: حقّ بمقتضى نحلة الرسول، وحقّ بمقتضى شرعة المواريث في محكم التنزيل. وإذا تحدّث القرآن فقد تحدّث القرآن، وإذا تحدّث القرآن فلا مجال بعد حديثه لحديث، فكلته سبحانه هي العليا، وحكمه هو الفيصل ... ثم لا مراجعة عليه ولا تعقيب. * * *